الآداب

شهرية تعنى بشؤون الفكر

ص.ب : ٤١٢٣ بيروت ـ تلفون : ٢٣٢٨٣٢

AL-ADAB : Revue mensuelle culturelle
Beyrouth - Liban
B. P. : 4123 - Tél. : 232832

صاحبها ومديرها المسؤول
الدكتور سهيل إدريس

Propriétaire - Directeur
SOUHEIL IDRISS

سكرتيرة التحرير
عايدة مطرجي إدريس

Secrétaire de rédaction
AIDA M. IDRISS

*

الادارة

شارع سوريا ـ رأس الخندق الغميق ـ بناية مروة

الاشتراكات

في لبنان : ١٢ ليرة ■ في سوريا ١٥ ليرة
في الخارج : جنيهان استرلينيان او ستة دولارات
في أميركا : ١٠ دولارات ■ في الارجنتين ١٥٠ ريالا
الاشتراكات الرسمية : ٢٥ ليرة لبنانية أو ما يعادلها

تدفع قيمة الاشتراك مقدما
حوالة مصرفية او بريدية

الاعلانات
يتفق بشأنها مع الادارة

هذا ليس تاريخا لحياة ، وليس حصرا للنضال الشجاع الذي قام به فقيدنا العظيم الدكتور محمد مندور ، ولا يدخل ايضا في باب اذكروا محاسن موتاكم ، ولكنه مجرد عرض لصفحات مجيدة من كفاح كاتب كبير مناضل شجاع . ومن غير الدكتور مندور احق بالدراسة في هذا المجال ، وكم اشعر في عنقي من دين نحوه ، لا سيما وقد لمسته عن قرب ابان عملي معه محررا بالقسم الادبي بجريدة « الجمهورية » القاهرية منذ انشائها حتى مارس ١٩٥٤ .

***

بالاضافة الى دراسته الرائدة « النقد المنهجي عند العرب » قدم لنا مندور كتابه « نماذج بشرية » الذي وصف بانه « اقرب كتبه الى قلبه » ، وذلك كله مع دراساته الضافية وترجماته العديدة لامهات الكتب الاوروبية في النقد الادبي ، ومقدماته النقدية لعشرات الكتب المترجمة والمؤلفة .

وفي رحلة ممتعة طاف بنا الدكتور محمد مندور بالنماذج البشرية التي عاشت وكتب لها الخلود في الاعمال الادبية العالمية من « جفروش » فكتور هوجو ، الى « دون كيشوت » سرفنتيس ، و « الملك لير » لشكسبير ، و « روبنصون كروزو » لدانيل فو ، و « عبيط (دستوفسكي) » رحلة طابعها التعمق ومعايشة الفن الادبي ، وانماء الشخصية الادبية التي خلقها الاديب ، وتعاطف وتكامل للانماط موضع الدراسة .. وابراز

* ..... *

نموذج الأديب المناضل

بقلم احمد محمد عطيات

* ..... *

المضمون الاجتماعي لكل شخصية من النماذج البشرية التي تعرض لها الكتاب بالنقد والدرس والتمحيص والفهم العميق . واذا كان كاتبنا العظيم قد تابع الشخصيات الادبية الحية في شتى الاعمال الادبية وقدم لنا دراسة مقارنة امتزج فيها التاريخ بالنقد بالدراسة الادبية ، فانه اضاف لنا ايضا نظرته الاجتماعية وايمانه الدائم بدور النقد والادب معا في ابراز المضمون الاجتماعي للعمل الاولي والتعاطف مع مشاكل الجماهير ومعايشتها واظهارها في شجاعة مهما كان موضوع الدراسة يمت بصلات وثقى الى احداث الماضي السحيق . دراسة استقراء شمولية للعمل الادبي وصاحبه ، والواقع التاريخي والابعاد الاجتماعية ، وفهمه هو وتفاعله بالنموذج الذي يعرضه . وهي دراسة نقدية تدعو الى الامل والى الثقة والى القوة والى المقاومة والى الجهاد .. ويمكننا ان نتفق مع زوجته وكاتبته وموضع سره الشاعرة ملك عبد العزيز في تقديمها للطبعة الثالثة من كتاب « نماذج بشرية » اذ تقول : « وهو يدعو الى الجهاد ، الجهاد الذي لا يعرف اليأس مهما لاقى من اخفاق » ..(١) فعندما يتحدث عن « فيجارو » الذي قدمه « بومارشيه » في مسرحياته « حلاق اشبيلية » و « زواج فيجارو » و « الام الجانية » ، نجده يحدثنا

(١) ـ نماذج بشرية ، ص ٣٠ .

حديثا يلائم طبيعة شعبنا العربي في مصر ، الساخرة ، فالسخرية احد اسلحة شعبنا الحادة في مواجهة الظلم وهو هنا يقيمها ويعتبرها احدى طرق المقاومة الشعبية ، و« سخرية فيجارو » اذن ليست دليل جفاف في نفسه ، وانما هي انتقام مر من نظم بلغ من فساده ان كان الشعب يسعى الى هدمه دون ان يفكر فيما يريد أن يقيم على انقاضه من نظام ، وعندما يلجم الظلم ألسنة الرجال لا يجد ذوو الاباء منهم سبيلا غير تلك السخرية التي لا تعرف سلاحا امضى منها بين ايدي الشخصيات القوية » . (٢) بل ان المقتطفات التي يوردها لنا الدكتور مندور تثيرنا ضد البورجوازية الكبيرة والاقطاع والامراء والملك ذاته ، الذين استباحوا شرف البسطاء « وكانت الوقاحة في ذلك الحين قد بلغت بالاشراف مبلغا ما كان فيجارو ليستطيع معه صبرا . كانوا يدعون لانفسهم حق قضاء اول ليلة مع عرائس اتباعهم » .. (٣) اليس هذا ما كان يرتكبه الملك فاروق في كل يوم في بلادنا ، و « لا . لا يا سيدي الكونت ، الانك سيد كبير تحسب انك عبقرية فذة ؟ المولد والثراء والوجاهة الاجتماعية. كل هذا يغري بالكبرياء ، ولكن ماذا فعلت لتنال كل تلك الخيرات ؟ لقد قاسيت آلام الولادة أليس ذلك كل ما فعلت ؟ وأما انا فيا ويل القضاء فيما فعل بي ! » (٤) مقتطفات اختيرت بعناية فائقة ، وايمان واضح بقضايا الجماهير ، وبالاشتراكية ، ليصل بنا الى صرخته القوية فينا « فيجارو روح خالدة لانها كقوى الطبيعة التي لا تدفع . فيجارو من روح الله لانه رمز الشعب ، ذلك الشعب الخامل الذكر المهضوم الحق ، ذلك الشعب الذي لا يريد ان يستجدي احدا ، وانما يطالب بحقوق لا بد ان ينالها يوما ما ، ذلك الشعب الذي يشكو من نظام فاسد لا بد ان يقيم على انقاضه نظاما اصلح » . (٥) أليست هذه بالضبط قضية شعبنا ، وبهذه القوة وبهذا النضج يستحثنا مندور على الثورة ضد النظام الفاسد ، بوعي تام يرى الحل العلمي الثوري الحق في هدم « النظام الفاسد » واقامة « نظام اصلح » ، لا نزعات اصلاحية ولا ترميم لواجهة النظام الاقطاعي الرأسمالي الاستعماري المتعفن المتهالك .

و « جفروش » طفل فكتور هوجو في البؤساء ، الطفل المشرد البائس الذي قامت الثورة من اجله ومن اجل امثاله في فرنسا فنسي آلامه وراح يتغنى بنشيد الثورة « بالمرسيليز ، مع المتغنين » ويعلن في اصرار « لا عليكم ! أن برجلي اليسرى الما شديدا ، ولقد قسا بي الروماتيزم ، ولكني مسرور أيها المواطنون ، وما على الاعيان الا ان يستوثقوا من مواضع اقدامهم . من هم افراد الشعب ؟ كلاب ! ليكن ، ولكن ليحترموا تلك الكلاب . آه ! ليت هنا زنادا . لقد اتيت من ظاهر المدينة حيث النار تضرم والقلوب تغلي . آه ! لقد حان الحين لنقطف زبد القدر ».

و « دون كيشوت » الذي رأى فيه البعض مجرد شاب مجنون يصارع طواحين الهواء ، رأى فيه مندور انموذجا للكفاح والجهاد « في سبيل مثل اعلى » وما على شبابنا الا ان يجاهد في سبيل مثل عليا ، دون نظر للنتائج سواء تحققت أم لم تتحقق فيكفيهم ان يجاهدوا وان يعملوا من اجل حياة افضل ومن اجل مثل اعلى . واذا كان دون كيشوت قد مات ، الا انه سيظل « رمزا لما في نفوس الشباب الخيرة من التماس الخير والفناء في سبيله » .. (٦) فيجب اذن ان يكون لنا دائما مثل عليا نكافح في سبيلها ، هذه ايضا خلاصة دراسته واستقرائه لفاوست « جوته » ، مهما كانت دوافع اليأس يجب ان ننتصر عليها يجب ان نؤمن بالمستقبل ، يجب ان نكافح « وسيان بعد ذلك أأصبنا نجاحا أم اخفاقا ، فالجهاد نبل في ذاته » . (٧)

وطوال رحلته في امهات الكتب العالمية ، وفي روائع الادب العالمي . لم يفقد صاحب « النقد المنهجي عند العرب » صلته بتراثنا العربي المجيد وايمانه به ، فاذا كان دانتي يستلهم الشعر من معبودته بياتريس ويضفي عليها صفات الملائكية والخلود ، فلدينا ايضا في تراثنا امثلة « ألم يتغزل قيس بن الرقيات بأم البنين ، رغم ما كان لتلك السيدة الجليلة من وقار ؟ ثم ألم يتغزل الماجن عمر بن ابي ربيعة بسكينة بنت الحسين وعائشة بنت طلحة ، بل وبأخت الخليفة عبد الملك بن مروان وبنته ؟ » (٨) .

لقد صنع من النقد عملا بناء لا اداة هدم وبتر ، فهو يحي النص الادبي باستقرائه له ، ويدفع بلفتاته النضالية الشجاعة بين سطور نقده ، ولكنه نقد اخلاقي ايضا يشجب الوسائل الميكيافيلية فالغاية عنده لا تبرر الواسطة ابدا ، اذا كانت ألغاية نبيلة فلا بد ان تكون الوسيلة أيضا بنفس القدر من النبل والشرف ، فاذا كان جوليان سوريل بطل رواية « الاحمر والاسود » لستاندال ، احد الذين ينبذهم المجتمع البورجوازي الناشيء في اعقاب الثورة الفرنسية ، فيصير ثوريا يرى انه « اما القناعة بالقليل والرضا بالظلم فلا ، بل تأهب للنزال » . (٩) الا انه مع ذلك كله يؤكد لنا فقيدنا العظيم « وما ينبغي مهما تكن الظروف ان نفقد الحس الاخلاقي فنضرب على غير هدى » . (١٠)

قصة دستوفسكي الشهيرة « العبيط » لم ير منها الدكتور مندور صفة العبط منطبقة على بطلها الامير « موتشكين » ، فاذا كان هذا الامير الروسي يصادق الاطفال دون الكبار ويعطف على كبوة فتاة ، ويغضي عن النفاق والخداع الذي يبديه له خادم الجنرال فليس معناه انه عبيط ، بل نحن العبط . « واما انا فأعتقد ان عقولنا هي الفاسدة وان حياتنا الاجتماعية قد خربت نفوسنا . لقد كانت من القسوة بحيث خلقت ارواح عبيد وارواح سادة . وكانت من الالتواء بحيث جعلت من حياتنا كلها نفاقا متصلا واتخذت من هذا النفاق قانونا صارما يصيبنا من عدم احترامه اكبر الاذى ، فأصبحنا جميعا نتساءل عن سر عبط هذا الامير العجيب ، بدلا من ان نتساءل عن سر فسادنا نحن خدما وسادة » .(١١)

في كتابه « الادب ومذاهبه » يذكر لنا الدكتور مندور رأيه في وظيفة الادب ، بعد استعراضه لكافة المذاهب الادبية وتعريفات الادب وفنونه ومجالاته ، وبعد الطواف بالكلاسيكية والرومانسية والواقعية الاشتراكية والطبيعية والفن للفن والرمزية والفرويدية والسيريالية ثم الوجودية . واذا كان الدكتور مندور مفكرا اشتراكيا بطبعه ، ويعد من فطاحل من آمنوا بالاشتراكية في بلادنا ، الا انه لا يؤمن بحرفية الواقعية الاشتراكية في الادب ، « واما الاشتراكيون فان تعسفهم يأتي من ناحيتين: الناحية الاولى اسرافهم المذهبي الذي يريد ان يفرض ديكتاتورية على الادب ، بحيث لا يعني الا بمشاكل الحياة الشعبية وما فيها من بؤس ومحن . والناحية الثانية تأتي من تجاهلهم لحاجة المجتمع بكافة طبقاته الى القيم الجمالية ، وانكارهم لتأثير هذه القيم في تهذيب الشعوب ورفع مستواها الروحي . وليس من شك في انه اذا كانت الانسانية في حاجة الى من ينتقم لها من البؤس والشقاء ، فهي ايضا في حاجة لا تقل مساسا لمن ينتقم لها من القبح وفساد الذوق او انحطاطه . وطبقات الشعب العاملة لا تقل حاجة الى الغذاء الروحي والجمالي عنها الى الغذاء المادي والعقلي .. » (١٢) هو انسان حر شجاع ضد كل قيد على حرية الاديب وفنه ، مهما كان الهدف من ذلك .

***

على صفحات جريدة « الوفد المصري » التي ترأس تحريرها قاد الدكتور محمد مندور ثورة الجماهير في مطالبتها لحكومة القراشي بالغاء معاهدة ١٩٣٦ ، فأرسلت تلك الحكومة بمذكرة سرية في ٢٠ ديسمبر ١٩٤٥ بدأتها بعبارات الذل والخضوع لبريطانيا ، وقالت « امام هبة الشعب المصري عن بكرة ابيه ورغبته الحارة في ان يرى علاقاته ببريطانيا

---

(٢) ـ المرجع السابق ، ص ٤٤

(٣) ـ المرجع السابق ، ص ٤٨ (٤) ـ المرجع السابق ، ص ٥١

(٥) ـ المرجع السابق ، ص ٥٣ (٦) ـ المرجع السابق ، ص ٦٧ .

(٧) ـ المرجع السابق ، ص ١٠٢ .

(٨) ـ المرجع السابق ، ص ١٤٨ . (٩) ـ المرجع السابق ، ص ١٧٠ . (١٠) ـ المرجع السابق ، ص ١٨٤ . (١١) ـ المرجع السابق ، ص ٣١٤ . (١٢) المرجع السابق ، ص ١٠٦ و ١٠٧ .

العظمى مستقرة على اساس من التحالف والصداقة الخالصة من شوائب ريب الماضي والطليقة من اسر مبادىء قد انقضى زمانها ، تعرب الحكومة المصرية عن ثقتها بأن حليفتها ستشاركها في هذا الرأي ، وان الحكومة البريطانية ستعني بتحديد موعد قريب لكي يشخص وفد مصري الى لندن للمفاوضة معها في اعادة النظر في معاهدة ١٩٣٦ . » وبعد مضي اكثر من شهر على تقديم تلك المذكرة الى الحكومة البريطانية ، جاء الرد البريطاني عليها في ٢٦ يناير ١٩٤٦ بمثابة صفعة للحكومة المصرية بقوله « ان المبادىء الاساسية التي قامت عليها المعاهدة المصرية الانجليزية المعقودة سنة ١٩٣٦ سليمة في جوهرها . وان سياسة حكومة جلالة الملك ان تدعم بروح من الصراحة والود والتعاون الوثيق الذي حققته مصر ومجموعة الامم البريطانية والامبراطورية في اثناء الحرب ، وهو ما نوهت به المذكرة المصرية ، وان نقيم هذا التعاون على اساس المشاركة الكاملة بين ندين للدفاع عن مصالحهما .. » (١٣) وعندما اذيعت المذكرة المصرية المتهادنة المتخاذلة والرد البريطاني عليها ، هاجم التخاذل مهاجمة قوية . وقاد حملة عنيفة لحمل الحكومة المصرية على عرض قضية الاستقلال على مجلس الامن في فترة دولية مواتية نتيجة لاصرار روسيا على عدم الجلاء عن جنوب ايران الا بعد جلاء القوات الاجنبية عن الشرق الاوسط : « ماذا تنتظر هذه الحكومة بعد ان اتضح موقف انكلترا على هذا النحو لكي تبسط قضيتنا امام الجمعية العمومية وامام مجلس الامن .. » (١٤)

وعاود هجومه عندما ادلى عبد الحميد بدوي وزير الخارجية المصرية ورئيس الوفد المصري لدى الامم المتحدة ، بتصريح غريب الى وكالة الانباء العربية اسما البريطانية فعلا ـ بأن مجلس الامن غير مختص في نظر قضية مصر وسائر البلاد العربية . وقامت قيامة الجماهير لهذا الموقف الخائن . واندلعت المظاهرات الغضبة وصودرت صحيفة مندور التي كان يحررها كلها تقريبا ، ووقع حادث كوبري عباس الذي ابتلع فيه النيل العشرات من شباب الوطن المثقف الواعي بقضيته ، وهبت مظاهرات القوى الجديدة للطلبة والعمال ، فاطاحت بحكومة النقراشي ، وجاءت حكومة اعنف رجعية وارهابا هي حكومة اسماعيل صدقي ، واستقبله مندور بمقال عنيف هاجمه فيه وهاجم الرأسمالية المصرية ، ومما جاء فيه : « ... ومصر باعتراف الجميع من اشد بلاد الارض حاجة الى تحقيق شيء من العدالة الاجتماعية بين سكانها وهي لهذا كانت تنتظر الا يلي امورها رجل عرف بتطرفه الرجعي نتيجة لاتساع مصالحه الخاصة وهو رئيس لاتحاد الصناعات في مصر ، المسيطر على حياتنا الصناعية كلها تقريبا ، وقد بلغ به الامر أن حاول غير مرة في البرلمان نفسه اتخاذ الشعور الوطني وسيلة لارهاق المستهلكين من افراد الشعب لمصلحة المنتجين من اصحاب الصناعات ... كما اعترض غير مرة على انصاف الموظفين وانصاف العمال ، وناهض كل مشروع شعبي يرمي الى علاج ادواء هذا الشعب المزمنة ، من فقر ومرض وجهل .. ولهذا اعتبرت الامة المصرية تولية صدقي باشا للوزارة ايضا نكسة اجتماعية لا شك فيها . » (١٥) ثم وصفه بأنه رئيس « وزارة استبدادية رجعية رأسمالية ... لا يخطر بباله على الاطلاق ان في مصر الان الى جانب مشكلة الانتاج وعدم استغلال جميع مصادر الثروة في البلاد ، مشكلة اخرى لا تقل خطورة هي مشكلة التوزيع ، توزيع الثروة ، وما في هذا التوزيع من ظلم فادح يجب ان يزول ، وسيزول اراد صدقي او لم يرد ، لان الله يأبى الظلم ، ولان الشعب قد مل الظلم ، ولان وقاحة الغني لم تعد تحتمل الى جوار ذل الفقر في هذا البلد البائس المنكود .. » (١٦)

ها هو ذا يهاجم في ضراوة النظام الاجتماعي الفاسد ، يهاجم الرأسمالية وفصل العمال بنفس القدر الذي يهاجم به الاستعمار ، في مقاله اليومي في صدر جريدة « صوت الامة » (١٧) كتب يندد بمأساة فصل ثلاثة الاف عامل من شركة نسيج المحلة ويقول : « هذه امثلة نسوقها لمجرد التدليل على ان هذه الحكومات التي تتصدى اليوم لحكم الامة لا يقف اذاها عند قضية الوطن الراكدة المعطلة ، بل يمتد الى مصالح الناس واقواتهم وهي التي تعضهم كل يوم بأنيابها السامة » .

وشن مندور حملة عنيفة على صدر صحيفة « صوت الامة » ضد المعاهدة الاستعمارية المزمع توقيعها والمعروفة باسم معاهدة « صدقي ـ بيفن » فكتب تحت عنوان مثير في صدر الصحيفة « لا تنسوا ايها المصريون : ان تحطيم مشروع صدقي ـ بيفن هو هدف جهادكم » يقول « لا نزال عند رأينا الذي كشفنا به الستار عما يدبر لقضية الوطن منذ اكثر من خمسة عشر يوما .. وهو ان الحكومة المصرية ليست جادة في اختصام الانجليز وانها هي وغيرها من رجال العهد القائم لا يترددون الا بين أمرين هما العودة الى المفاوضة في مصر أو العودة الى المفاوضة بعد وساطة مجلس الامن وايصائه .. وبناء على ذلك لا ينبغي اطلاقا ان يطمئن احد الى النقراشي باشا عندما يذيع انه سيذهب حتما الى مجلس الامن ، وذلك لان المهم ليس الذهاب الى هذا المجلس ، وانما المهم هو ان يعلن النقراشي باشا اختصامه للانجليز من اجل وطنه وان يتخذ الخطوات التي تدل على انه جاد في هذه الخصوم ، وذلك بأن يقرر رسميا الغاء معاهدة ١٩٣٦ واتفاقية ١٨٩٩ وان يصرح بأنه لن يقبل العودة الى المفاوضة التي اوصى بها مجلس الامن وذلك لانه يرفض مبدأ التحالف العسكري ومبدأ الدفاع المشترك ومجلس الدفاع ويصر على ان تخرج مصر من حظيرة بريطانيا وان تسترد سيادتها كاملة غير منقوصة حرة غير مقيدة .. وانه بعبارة موجزة يرفض مشروع صدقي بيفن .» (١٨)

وقد ظل مندور دائما مثال المناضل الحر الشجاع الذي لا يكل ولا يرهبه حديد الرجعية ونارها ، اذا سجن ، يواصل كتاباته الثائرة من خلف القضبان ، حتى اعتقله صدقي مع المئات من الصحفيين والكتاب والشباب الوطني في حملته المسعورة المشهورة تحت ستار محاربة الشيوعية ، وراح يلصق الشيوعية بكل وطني لينكل بالاحرار . واوحى صدقي الى جريدة « اخبار اليوم » ، جريدة السراي وقتئذ ، لتشن حملة مسمومة لتشويه كفاحه الوطني لدى الجماهير ، وتلطيخ صورته بأنه عميل الكومنترن عندما نشرت بعنوان كبير احمر « القبض على الدكتور محمد مندور الواسطة بين الوفد والكومنترن » ، وذلك بعد رفضه اي اغراء مادي واصراره على موقفه الوطني الصلب رغم عرض حكومة صدقي عليه ان يقبل وظيفة سفير مصر في سويسرا ، وقال لعبد الرحمن البيلي وزير مالية صدقي : « اني افضل الانتحار على مثل هذه الخيانة الوطنية . » (١٩) وتحدث مندور عن هذا الاضطهاد بشجاعة : « .. فيا للعجب ! رئيس جمهورية سوريا ينذر بثورة دامية

(١٣) ـ في اعقاب الثورة ـ ج ٣ ـ السيد الرحمن الرافعي .
(١٤) ـ جريدة « الوفد المصري » ، عدد ١٦ يناير ١٩٤٦ .
(١٥) ـ جريدة « الوفد المصري » ، عدد ١٧ فبراير ١٩٤٦ .
(١٦) ـ جريدة « الوفد المصري » ، عدد ١٩ فبراير ١٩٤٦ .
(١٧) ـ جريدة « صوت الامة » ، عدد ١١ يناير ١٩٤٧ .
(١٨) ـ جريدة « صوت الامة » ، عدد اول مارس ١٩٤٧ .
(١٩) ـ « المجلة » ، العدد ٩٨ ، فبراير ١٩٦٥

في البحرين

تطلب « الاداب » وكتب « دار الاداب »

من

الشركة العربية للوكالات والتوزيع

شارع المتنبي

اذا لم يخرج الفرنسيون من بلاده ويعلن سخطه على العالم وعلى الحياة هو وشعبه اذا لم يصل الى الحرية الشريفة العزيزة ، ومحمد مندور يكتب مقالا يستنكر فيه الاعتداء على الناس ويدعو مواطنيه الى ان يظهروا شعورهم الوطني على نحو جدي بالاضراب يوما واحدا اضرابا سلميا فيشكوه الى النيابة رئيس الوزارة المصرية وتريد النيابة ان تزج به في السجن ولا تطلق سراحه الا بكفالة مالية قدرها خمسون جنيها كأنه مجرم يحتمل هربه ! » (٢٠)

ووضع في صدر جريدة « الوفد المصري » شعارا جديدا وغريبا على حزب الوفد الاقطاعي ، هو « استقلال وادي النيل ـ الديمقراطية السياسية ـ العدالة الاجتماعية » واخذ يعمق لدى الجماهير المضمون الاجتماعي للثورة المرتقبة ، « قضية العدالة الاجتماعية تكاد تفقأ الاعين ، فبؤس الشعب ضارب اطنابه ، والتفاوت بين الفقر والغني في هذه البلاد قد بلغ حدا لا يطاق ، حتى لاصبح من المألوف ان تشهد كل يوم وقاحة الثراء وذل الفقر في كل مكان ، والامور بيد الطبقة الثرية الجشعة ... لا بد من ان يأتي يوم يمل العبد استعباده ، والفقير ذله ، لا بد ان يأتي يوم يفطن فيه فاقد الوعي الى حقه ، وضعيف العزيمة الى قوته ، وعندئذ سيرضخ من لا ضمير له ، وتتكسر حدة من لا يعرف غير الجشع ، ويتحطم استبداد من الف الاستبداد .. ان بالنفوس ظمأ الى الحرية والعدل ، فاما ري ، واما احتراق » . (٢١) وظل يصرخ في العامل وفي الفلاح وفي الموظف وفي المثقف ، يوقظ فيهم روح الثورة ضد النظام بأسره ، مما جعله يمثل خطورة على حزبه الاقطاعي ، ودفع الباشوات الذين يتولون قيادة الحزب الى محاربته ومحاولة فض الشباب اليساري المثقف من حوله . وقد افضى فقيدنا بهذه الاقوال الى الاستاذ رجاء النقاش (٢٢) والى الاستاذ فؤاد دواره (٢٣) . وقد اهله نضاله الشجاع ليفوز بعضوية مجلس النواب سنة ١٩٥٠ عن دائرة السكاكيني بالقاهرة بأغلبية ضخمة ، وليواصل كفاحه حتى اجبرت القيادة الرجعية لحزب الوفد على الرضوخ لمطالب الجماهير والغت معاهدة ١٩٣٦ وملحقاتها .

(٢٠) ـ جريدة « الوفد المصري » ، ٥ نوفمبر ١٩٤٥ .

(٢١) ـ جريدة « الوفد المصري » ، ٢٤ ديسمبر ١٩٤٥ .

***

كان دائما يناضل ، دائما في صراع ضد شيء ما ، فكرة ، قوى استبدادية ، نظرية ادبية ... تجده في مقالاته التي نشرها في مجلتي « الثقافة » و « الرسالة » ، والتي جمعها في كتابه « في الميزان الجديد » ، وفي مساجلاته مع فقيد الادب والفكر العربي الاستاذ العقاد حول « رسالة الغفران » وقول العقاد « ان فكرة ابي العلاء في هذه الرحلة الى العالم الاخر لم يسبقه اليها غير لوسيا ن» ، وكتب العقاد « نبهت الى كلمة لاديب يكتب في (الثقافة) بتوقيع محمد مندور .. » (٢٤) فرد عليه تحت عنوان « جورجياس المصري » : « وانا احمد الله اذ نبه الاستاذ الى كلمة محمد مندور هذا ، فالعقاد رجل لديه ما يشغله عن (الثقافة) وعن محمد مندور ، وهو منهمك في قراءة امهات كتب الادب التي وجد فيها ان فكرة ابي العلاء في هذه الرحلة الى العالم الاخر لم يسبقه اليها احد غير لوسيان في محاوراته فأني له بقراءة الثقافة ، وما هي بشيء الى جوار عيون الادب ، ومن هو مندور ، ليقرأ له وهو مأخوذ بسحر لوسيان ؟ ومحمد مندور يسره ان ينبه العقاد قبل ان يبدأ في مناقشته الى تتمة جملته كما هي بالثقافة عدد ١٧٦ « والكل يعلم ما في اساطير اليونان من وصف لنزول اورفيوس الى العالم الاخر ليسترد منه زوجته اوريدس ، والكل يعلم وصف هوميروس لرحلة اوليس ، ووصف فرجيلوس شاعر الالياذة لرحلة ايتيوس بذلك العالم .. » (٢٥)

ونقاشه مع الاستاذ محمد خلف الله حول الدعوة الى نقد تقريري يقوم على اسس من علوم الجمال والنفس والتاريخ والاجتماع .. كتب « .. انا اعتقد ان الاتجاه الذي يدعو اليه الاستاذ خلف محنة ستنزل بالادب ، لان معناه الانصراف عن الادب وتذوق الادب ، والفرار الى نظريات عامة لا فائدة منها لاحد . » (٢٦)

وفي مناقشاته اللغوية مع الاب الكرملي ومع زكريا ابراهيم ، حول « عثرت به » و « عثرت عليه » ، قال « اللغة كائن حي لا يقنن له ، واكبر دليل على صحة ما اقول هو ان المجمع اللغوي لم يستطع شيئا في هذا الباب ولن يستطيع . وانا اشكر الاديب زكريا ابراهيم اذ نبهني ونبه زملائي اساتذة الجامعة الى وجوب ترجمة اسماء الاعلام كما ينطق بها اهلها . فهذا لا ريب مبدأ سليم ولكن على شرط ان تعرف كيف كان ينطق بها اولئك الاهل . » (٢٧)

ظل دائما مناضلا شجاعا ، عف اللسان ، قوي الحجة ، غزير المادة ، وما اكثر وقفاته الشجاعة وتضحياته وتمسكه بالحق مهما لاقى من متاعب واهوال . واذا كنا قد قصرنا بحثنا على كفاحه قبل ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ ، فذلك لاعتقادنا بأن الكفاح الحقيقي هو الذي يقوم في عهود الارهاب والرجعية ، ولكنه ظل ابدا مناضلا شجاعا لاخر ايامه ، مثل هجومه القوي على تفاهات المسرح الكوميدي بالقاهرة بالرغم من عضويته للجنة القراءة به .

ان مندور لم يمت .. وسنجده حيا بيننا يناضل في شجاعة كما كان دائما ، رحمه الله .

القاهرة — **احمد محمد عطية**

(٢٢) ـ مجلة « الاداب » ، ديسمبر ١٩٦٤ .

(٢٣) ـ مجلة « المجلة » ، فبراير ١٩٦٥ .

(٢٤) ـ « الرسالة » ، العدد ٤٦٧ .

(٢٥) ـ « في الميزان الجديد » ، ص ١٥٦ .

(٢٦) ـ المرجع السابق ، ص ١٦٢ .

(٢٧) ـ المرجع السابق ، ص ٢٠٨ .

صدر حديثا :

الناس في بلادي

للشاعر صلاح عبد الصبور

طبعة جديدة من الديوان الاول لاحد زعماء مدرسة الشعر العربي الحديث واحد رواد النهضة الشعرية المعاصرة .

الثمن ٢٥٠ قرشا — **منشورات دار الاداب**